الفصل الثالث
آداب إسلامية

الإسلام دين السلام.
الفدائي الصبور.
الصدق طمأنينة.
آداب الاستئذان.
نحن... والإسلام.

الإسلام دين السلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد:

إخوة الإسلام:

في هذه الأيام يتعرض الإسلام لمؤامرات ومحاربات شرسة، والذى تولى كبر هذه المؤامرة: أعداء الإسلام جميعا (خاصة بلاد الغرب)، وعلى وجه التحديد بعد أحداث سبتمبر من عام ألفين وواحد للميلاد على إثر الاعتداء الإرهابى على مدينة نيويورك الأمريكية.

ومن هنا اتسعت دائرة الكتابات المسمومة المعادية للإسلام والمسلمين، فامتلأت بالمغالطات وتشويه الحقائق، مما يدل على جهل شديد وتشويه متعمد لحقيقة هذا الدين الحق: دين الإسلام.

نقول لهؤلاء - وللعالم كله إن الإسلام معناه: الخضوع والإذعان والاستسلام قال تعالى:{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ} [آل عمران: 19]. فالإسلام ينظر إلى البشر أجمعين باعتبارهم وحدة واحدة متساوية في الخلق لله الواحد الخالق الواحد، وباعتبارهم في ذات الوقت متعددين في الروابط والجماعات. وهذه الوحدة في الخلق مع التعددية في الجماعات... هما موطن الإشارة في الآية الكريمة:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13] ولم يكن الإسلام دين النبى ﷺ وحده، وإنما كان دين الأنبياء جميعا، دانوا به؛ لأنه من عند الله رب العالمين.

قال تعالى:{شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ} [الشورى: 13].

ويكفى أن لفظ الإسلام ذاته مشتق من السلام، والمتأمل في أحكام دين الإسلام يراه أحق العقائد والدعوات بأن يسمى دين السلام، والله هو

السلام، وهو القائل{إِنَّ الدِّينَ عِندَ الله الإِسْلاَمُ}.

ولكن مانراه اليوم من شتى الهجمات الباطلة على الإسلام والمسلمين، إنما يدل على حقد دفين في وجدان وعقل الغرب على الإسلام والمسلمين، بل ويزعمون بكذبهم وبهتانهم على أن الإسلام دين التطرف والإرهاب

والتطرف - إخوة الإسلام - معناه: الوقوف عند طرف واحد من الشيء والبعد عن الوسط فيه يمينا ويسارا. فالمتطرف هو: الذي يبتعد عن الحل الوسط، ويأخذ بالحلول التي تقف عند أحد طرفى المسألة.

والإسلام هو دين الوسطية، فهو ليس مع اليمين المتطرف، ولا اليسار المتطرف، قال تعالى{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: 143] وقد كان النبى ﷺ ينطلق دائماً من منطلق الوسطية؛ لأنها هى الأفضل في تسيير أمور الناس في الحياة.

فالإسلام لم يكره أحدا على الإسلام. وإنما قال تعالى{لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة: 256]. وقال تعالى حاكيا عن موقف وقول نبيه{لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [الكافرون: 6].

ومن تلك المقولات التي يتشدق بها أعداء الإسلام، وتدل على حقدهم وكراهتهم لدين الحق قولهم: إن الإسلام انتشر بحد السيف.

إن الإسلام لم ينتشر بحد السيف، ويدل على ذلك أن أكثر المسلمين على مدار التاريخ إنما دخلوه بغير قتال أبدا، دفعهم إلى ذلك ماوجدوه في الإسلام والمسلمين من فضائل وأخلاق عظيمة، ومن زعم غير ذلك فليسأل شعوب شرق آسيا.

ولكن المسلمون أمروا بقتال من وقف في وجه الإسلام، وعارض وحارب ذلك النور من أن يصل إلى الناس جميعا. فأمر المسلمون بقتال الطواغيت الذين وقفوا حجر عثرة في طريق انتشار الإسلام ووصوله إلى الناس، وكان ذلك أيضا بعدما أوذى المسلمون إيذاء شديدا، فنزل الأمر من الله:{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ الله عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} [الحج: 39].

إخوة الإسلام:

إذا كان القانون الدولى يبرر استخدام القوة في بعض الحالات وهى:

❖ **حق الدفاع الشرعى:**

فإذا ما اعتدى عليك أحد تستطيع أن تستخدم القوة؛ لرد هذا العدوان.

❖ **حق تقرير المصير:**

فللشعوب والأمم التي يحتل غيرها أراضيها أن تقوم بالكفاح لتقرير مصيرها، فإما أن تغدو دولة مستقلة، وإما أن تتحد مع دولة أخرى، أو تنفصل مع دولة قائمة هو ما يعرف بحق تقرير المصير. فإذا ما كانت هناك أراض محتلة فإن من حق صاحب الأرض أن يقاوم المحتل، وأن يكافح في سبيل تحرير الأرض.

فإن المسلمين كان لهم الحق (وفقا لقواعد القانون الدولى الآن) في الدفاع عن أنفسهم، وتقرير مصيرهم، وتحرير أراضيهم، ولم يكن المسلمون بادئين بالعدوان. ومن هنا أيضا تعتبر المقاومة الفلسطينية وفق القانون الدولى دفاعا عن حق مشروع وأرض محتلة [1].

إن المقصود من كلمة " إرهاب " في الإسلام: هو الردع والدفاع عن الحق. ولايقصد بكلمة إرهاب في الإسلام العدوان أو استخدام العنف المجرد ويدل على ذلك قول الله{تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال: 60] نحن ننوه وننبه على ذلك؛ لأن كلمة إرهاَب قد ترجمت إلى لغات عديدة بمعنى " الرعب " مما جعل الأوروبيين يلصقون هذه التهمة بالإسلام ظلما وبهتانا.

ومن العجيب أن يظهر قول الحق على ألسنة أهل الكفر، وطواغيت العالم... فقد قال الرئيس الروسى (بوتين): إن الإسلام دين عالمى يستحق دعم روسيا. وقد ساد الإسلام دول العالم جميعا.

إخوة الإيمان والإسلام:

لقد حرم الإسلام سفك الدماء بغير حق؛ إذ بين لنا القرآن الكريم، أن

(1) مجلة الأزهر مقال للدكتور جعفر عبد السلام.

في تطبيق العقوبات العادلة حياة آمنة للناس.

قال تعالى{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ} [البقرة: 178].

والمعنى: ولكم أيها المؤمنون في مشروعية القصاص من الظالم والمعتدى حياة عظيمة فيها مافيها من الأمان والسلام والرخاء والاطمئنان. فنفذوا ماشرعه الله تعالى.. فإن في هذا التنفيذ سعادتكم وصلاحكم.

قال تعالى:{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا} [المائدة: 32].

وفى هذه الآية أسمى ألوان الترغيب في صيانة الدماء وحفظ النفوس من العدوان عليها، حيث شبه سبحانه قتل النفس الواحدة بقتل الناس جميعا - وإحياءها بإحياء الناس جميعا.

ولقد توعد القرآن من يقتل غيره عامدا متعمدا بسوء المصير.

قال تعالى:{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} [النساء: 93].

وقال النبى ﷺ:♂**لزوال الدنيا جميعا أهون على الله من دم سفك بغير حق**ـــ[1] ويقول عبد الله بن عمر ☻ : رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة يقول:♂**ما أطيب ريحك، وما أعظمك وما أعظم حرمتك. والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن**[2] **أعظم من حرمتك**ـــ[3].

كما ورد في صحيح البخارى (رحمه الله) قول النبى ﷺ:♂**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**ـــ.

ولذا جاء النهى من الله ﷻ:{وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ

(1) رواه البيهقي من حديث البراء.
(2) أي: لمنزلة المؤمن.
(3) رواه ابن ماجة.

وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الأنعام: 151].

هكذا نرى أن الإسلام حرم سفك الدماء، والتطاول على الآخرين، وبين في آيات كثيرة أن نعمة الإيمان على رأس النعم التي يجب أن يحافظ عليها الإنسان؛ حتى يعيش عيشة فيها الاستقرار والرخاء والتواصل والإخاء، وفيها شيوع الخير بين الناس.

لقد أمر الإسلام أتباعه إلى نشر السلام والأمان فيما بينهم وبين الناس جميعا فقال:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} [البقرة: 208].

والمعنى: يامن آمنتم بالله تعالى إيمانا حقا، اعلموا أن إيمانكم يوجب عليكم جميعا أن تكونوا متصالحين لا متعادين، متحابين لا متباغضين، كما يوجب عليكم أن تسالموا من يسالمكم، وأن تردوا بالرد المناسب على من يعتدى عليكم.

بل إن الله عز وجل من أسمائه الحسنى: السلام.

قال تعالى:{لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}.

وجاءت الأحاديث النبوية موضحة معنى السلام قال رسول الله ﷺ:

♂**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم. والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**♂ (1).

وكان من دعاء النبى ﷺ:♂**اللهم أنت السلام، ومنك السلام، فحينا ربنا بالسلام**♂ (2).

إخوة الإسلام والإيمان:

لقد جاء الدين الإسلامى بمهام كثيرة منها:

1- إعلان الألفة بين الشعوب.

قال تعالى:{وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ

(1) متفق عليه من حديث أبي موسى.
(2) العقيدة والأخلاق.

فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا} [آل عمران: 103].

2- دعوته إلى وحدة العقيدة الدينية من جهة أن أصل الأديان واحد.

قال تعالى:**{إِنَّ الدِّينَ عِندَ الله الإِسْلاَمُ}** [آل عمران: 19].

3- نشرة المبادئ الإنسانية.

وذلك حينما شكا يهودى على بن أبى طالب إلى الفاروق عمر بن الخطاب فقال الفاروق لعلي اجلس يا أبا الحسن، فظهرت دلائل الغضب على وجهه، فلاحظ ذلك عمر فقال له: أكرهت يا على أن تجلس أمام خصمك؟ قال: لا. ولكنك ناديتنى بكنيتى فرفعتنى عليه.

4- دعوته لتطهير القلوب.

قال تعالى:**{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ الله أَتْقَاكُمْ}** [الحجرات: 13] وقال:**{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}** [ق: 37].

5- دعوته إلى تأسيس دولة الحق في الأرض.

قال تعالى:**{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا}** [البقرة: 119].

6- دعوته إلى الأخذ بالأحسن من كل شيء [1].

قال تعالى:**{وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ}** [النساء: 125].

إخوة الإسلام:

إن نعمة الأمان والإسلام من أجل النعم وأعظمها، وماحافظ عليها قوم إلا وعمهم الخير والبر والرخاء والاستقرار. فالسلام من الإسلام، والأمان من الإيمان. وقد أمرتنا شريعة الإسلام بأن نقول للناس حسنا، وبأن نعمل بكل وسيلة على أن نكون من الذين يستجيبون لقول الرسول ﷺ حيث قال:♂**أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم.. أفشوا السلام بينكم**═ [2] كما قال أيضا:♂**من أصبح آمنا في سربه، معافى في بدنه عنده قوت يومه، فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها**═.

(1) مهمة الإسلام في العالم.
(2) رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

من خلال ماسبق يتضح لنا أن الإسلام دين الأنبياء جميعا، من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ، وأنه دين عالمى، يدعو إلى الأمن والأمان، ويدعو إلى السلم والسلام، كما قال ربنا على لسان يعقوب عليه السلام؛ وهو يوصي إلى أولاده:{قُولُواْ آمَنَّا بِالله وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ الله وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * صِبْغَةَ الله وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ الله صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ} [البقرة: 138].

نسأل الله أن ينصر الإسلام والمسلمين.

اللهم آمين.

* * *

الفدائى الصبور

الحمد لله القائل: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: 29] ونشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله القائل في الحديث الشريف: ﴿أصحابى كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم﴾ (1).

وبعد:

إخوة الإسلام

إذا تغلغل الإيمان في أعماق قلب المؤمن، وملأ عليه كيانه كله، كان أقوى في ثباته وشموخه من الجبل الأشم، لايزعزعه عن معتقده إرهاب عتل جبار، ولا إغراء خبيث محتال؛ لأن الإيمان طمأنينة لا يجامعها خوف من أحد إلا الله. ومن المعلوم لدينا أن أصحاب النبى ﷺ كانوا من أكمل الناس إيمانا وأصدقهم يقينا، ولاسيما الذين أوتوا حظا وافرا من العلم والبطولة، ولازموا النبى الكريم ﷺ.

أما في زماننا هذا فقد استوقفنى شاب مسلم اسمه عبد الله، يؤذن للصلاة وتقام الصلاة بجواره، وهو غير عابئ بهذا النداء، وكأنه موجه إلى غيره من أصحاب الديانات الأخرى، وتحولت ببصرى فإذا بشاب آخر اسمه عبد الله يهز رأسه طربا، ويهتز لحمه وعظمه على أنغام مغن عربى!! وتقرأ المجلات فإذا ممن اسمه عبد الله وهوايته الرقص والموسيقى، وإذا ماشرقت أو غربت.. وتأملت فإذا الأمر أعظم من ذلك؟

وعلى العكس من ذلك تماما.. عندها انطلقت أستحث الخطا، وأسابق الركب عبر أربعة عشر قرنا؛ لأرى حال من كان اسمه عبد الله فعبادلة الإسلام كثير! فإذا أمة من الناس رفعوا للأمة رأسا، وأعلوا للدين منارا، ولايزال التاريخ يردد جهادهم وصبرهم، على صغر سن فيهم، وحداثة دين منهم (2).

(1) رواه أبي ابن عبد البر بسند ضعيف.
(2) رسالة ورقية (من عبد الله بن حذافة إلى شباب المسلمين).

لكن نتوقف مع شخص مرت به أحداث خطيرة، ومواقف عظيمة، وقابل رؤساء أعظم دول عصره. استقبله كسرى ملك الفرس، وقيصر عظيم الروم، وهذا الصحابى الذي لاتهمه (البروتوكولات ولا التقاليد الرسمية)، لايعرف إلا شمسا محرقة، وسماء صافية، وخباء في ظل شجرة، يحوى كسرة خبز.. إنه صحابى من صحابة رسول الله ﷺ. إنه عبد الله بن حذافة بن قيس السهمى، أحد السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة فرارا من أذى المشركين، هو وأخواه (قيس، وخنيس) ثم عاد إلى مكة وهاجر إلى المدينة، وشهد غزوة بدر وغيرها.

إخوة الإسلام:

عرض على هذا الصحابى كل سبل الإغراءات إلا أنه كان له موقفه، منها:

- فتحت له الكنوز والخزائن.
- ألقت إليه الحضارة في حين بركابها، لكنه أبى أن يمتطيها، وأعرض عن زينتها.
- قاسمه كسرى ملكه الواسع، وغناه الفحش، لكنه رفض، قدم له ابنته الفاتنة، لكنه أشاح بوجهه وأبى!.. فبطلنا لايرضى بدينه بديلا، ولو اجتمعت له الدنيا بأسرها.

ومع إقامة الدولة الإسلامية في المدينة، ولرغبة المسلمين الأول في إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد (وهى رغبة أهل الإيمان الصادقين جميعا)، ولتبليغ هذا الدين إلى أقصى الأرض، وفى السنة التاسعة عشرة للهجرة، وفى عهد عمر بن الخطاب ﷺ، بعث عمر جيشا لحرب الروم، وكان فيه وجوه الأمة ورجالها. وقد أفزع قيصر عظيم الروم هذا الزحف القادم من صحراء جزيرة العرب القاحلة ظن واستولى عليه الرعب والهلع. فأمر رجاله إذا ظفروا بأسير من أسرى المسلمين أن يأتوا به إليه ليرى حالهم، ويسمع من أفواههم. وكان ذلك الأسير الذي أخذ إلى ملك الروم هو: عبد الله بن حذافة.

ولم يكن قيصر إلا رجلا داهية وسياسيا محنكا، يعرف مواطن

الضعف عند الرجال، ويعلم محبة النفوس للدنيا. تأمل قيصر في طلعة عبد الله بن حذافة وصلابة عوده وقوة شكيمته، فبادره قائلا: إنى أعرض عليك أمرا، أعرض عليك أن تتنصر فإن فعلت أخليت سبيلك وأكرمت مثواك. فحبس أياما وأمر بأن يوضع له من لحم الخنزير طعاما ومن الخمر شرابا، ووكل من يراقبه؛ لينظر ماذا يفعل في هذا الطعام وهذا الشراب (ولعله كان يعلم أن الخمر والخنزير محرمات في الإسلام، فأراد أن يحرجه ويحمله قهرا على تناولهما). فمكث عبد الله ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب حتى نحل جسمه والتوى عنقه، فسألوه عن السبب في امتناعه عن تناول لحم الخنزير والخمر، فقال: إن الله أباحهما للمضطر، ولكنى أخاف إن تناولتهما أن تشمتوا في المسلمين.

فأخرجه الملك من حبسه وأعاد عليه عرضا مغريا آخر، لكن القلوب تختلف، والرجال تتباين. وكان الرد الفورى والحازم ممن عمر الإيمان قلبه: هيهات هيهات، إن الموت لأحب إلى مما تدعونى إليه. تعجب قيصر، وأعاد الكرة مرة أخرى بعرض آخر يسيل له لعاب الكثير. قال له: إنى لأرى فيك صفات الرجل الشهم العاقل. فأجبنى إلى ما أعرضه عليك، فإن أجبتنى أشركتك في ملكى، وقاسمتك سلطانى تعال أيها العربى الذي أحرقت الشمس وجهه - أقاسمك مملكة الروم العظيمة، وأزوجك ابنة سيد الروم الجميلة.. عروض متتالية لرجل فقير مسكين رث الثياب، مجهد الخطوات، لايملك حفنة من الأرض، مقيد بالسلاسل! فماذا كان جوابه في تلك اللحظات الفارقة من حياته؟ قال عبد الله بن حذافة ﷺ، بثقة المؤمن بربه، الراغب فيما عنده: والله لو أعطيتنى جميع ماتملك، وجميع ماملكته العرب على أن أرجع عن دين محمد طرفة عين مافعلت! نعم.. ليس ملكك فحسب، وليس تنصرا مستمرا، بل رجوع طرفة عين مافعلت.

إخوة الإسلام:

رأى قيصر أن هذا المؤمن لاتلين له قناة، ولن تنفع معه وسائل الإغراء، وطرق الترغيب. فهب واقفا وهو يصرخ متهددا متوعدا: إذا أقتلك! قال له ذلك والجلاد على رأس عبد الله والسيف مجرد من غمده.. وانتظر قيصر الجواب من عبد الله فإذا به يأتى كالسهم محمل بالإيمان

والثبات: افعل مابدا لك. افعل ما بدا لك فأمر به فصلب ليرمى بالسهام وقال لقناصه: ارموه قريبا من يديه، وهو يعرض عليه التنصر، ولكن عبد الله والسهام تتخطفه أبى! فقال: ارموه قريبا من رجليه، وهو يعرض عليه مفارقة دينه فأبى فدعا بقدْر عظيم فصب فيه الزيت، ورفعه على النار، وارتفع صوته، وعبد الله ينظر، ثم أتى بأسير من أسرى المسلمين، فأمر به أن يلقى فيها، فألقى أمام عين عبد الله.. فإذا لحمه يتفتت وينسلخ ويظهر عظمه.

عند هذا المنظر الرهيب، والموقف العصيب التفت قيصر إلى عبد الله بن حذافة، ودعاه إلى النصرانية، والأحداث متسارعة، والقدر يغلى. لكن عبد الله كان أشد إباء لها من قبل، فلم تلن له قناة، لم تفت منه عضد! زاد ضيق قيصر.. وقال: ماهذا الرجل الذي أمامى، أعرض عليه ملكى وابنتى فيرفض، وأعرض بين يديه النار والقدر تغلى زيتا فيأبى.

عندها أمر رجاله وقد تطاير الشرر من عينيه: هيا ألقوا به مثل صاحبيه! حمل عبد الله على عجل، وارتفعت الأيدى، لتلقى به في القدر. فأبصر أحد رجال قيصر منه دمعة انحدرت... فقال لقيصر فرحا بالانتصار: لقد بكى! وظن أنه قد جزع مما يرى من الأهوال والشدائد، ورضى بالعروض المقدمة إليه. فقال قيصر: ردوه على. فلما ردوه إليه، ومثل أمامه، عرض عليه النصرانية فرفضها. فقال له متعجبا: ويحك، ماذا أبكاك؟ قال عبد الله: أبكانى أنى قلت في نفسى: تلقى الآن في هذه القدر فتذهب نفسك، وقد كنت أشتهى أن يكون لى بعدد ما في جسدى من شعر أنفس فتلقى كلها في القدر في سبيل الله!! فتعجب الطاغية الظالم، وقال: هل لك أن تقبل رأسى لأطلق سراحك؟ فقال عبد الله وهو يرى أمة من المسلمين في الأسر، وعن جميع أسارى المسلمين كلهم؟ وكان في اعتقاد قيصر أن عبد الله سيمتحق ويأبى، ولكنه رجل تعلم من الإسلام أنه إذا فتح له باب خير ولجه قبل أن يغلق دونه، وأن تقبيل رأس الملك لا يقدم ولا يؤخر، وأنها لفرصة سانحة للبصق عليها في صورة تقبيل، وهى فرصة أيضا ليعرض عليه مطالبه التي لاتغيب عن ذهنه أبدا - وهى تخليص أسرى المسلمين من أيديهم. لقد فكر ودبر ودارت هذه

الأهداف في ذهنه وفى رأسه فقال: نعم أقبل رأسك - أيها الملك - على أن ترد جميع الأسرى إلينا. فقال: نعم، أفعل. فقبل رأسه، فصدقه الملك فيما وعد به، وأطلق الأسرى وأجازهم بأموال كثيرة [1] وكأن هذا الملك قد أيقن بصحة هذا الدين، وصدق معتنقيه فأسلم أو كاد يسلم، لأن إطلاق الأسرى، وتزويدهم بالمال الكثير يوحى بذلك، والله أعلم.

إخوة الإسلام:

ولما قدم عبد الله على عمر ☻ ومعه نحو ثلاثمائة أسير، وعرف الخبر منه ومن غيره - فرح فرحا شديدا، وقال: حق على كل مسلم أن يقبل رأس ابن حذافة، وأنا أبدأ بذلك، فقام فقبل رأسه. ونحن كمسلمين الآن نقبل رأس ابن حذافة، إن لم يكن ذلك بالحس فبالمعنى. وتابع عبد الله جهاده في فتح بلاد الروم فاشترك مع عمرو بن العاص في فتح مصر، وولاه عمر مدينة الإسكندرية، فأحسن إلى أهلها، وحكم بينهم بحكم الله العادل حينا من الزمان، ثم وافته المنية في عصر عثمان ﷺ ودفن في مصر.

ياعبد الله.. هذا الزمن

دعنا نقبل رأسك، وانطلق إلى المسجد مصليا.. دعنا نقبل رأسك وكن ثابت الإيمان، قوى الرسوخ والبنيان! ياعبد الله دعنا نقبل رأسك وفك أسرك من رق الشهوات، ومواطن الريب، دعنا نقبل رأسك مرات ومرات. ولاتكن إمعة يسيرك الأعداء حيث شاؤوا وهو ما نراه في مظهرك ومخبرك.

وصدق الله العظيم حيث قال:{**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**} [الأحزاب: 23].

فهل آن الأوان أن نتربى مثل هؤلاء الرجال، ونتخرج من مدرسة سيد الأنام. فهل آن الأوان أن نتشبه بهؤلاء العظام.

تشبه بالرجال وإن لم تكن منهم ::: فإن التشبه بالرجال فلاح

(1) رجال أحبهم الرسول د/ محمد بكر إسماعيل.

نسأل الله أن يجمعنا مع نبينا وصحابته الكرام.

اللهم آمين.

* * *

الصدق طمأنينة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، و بعد:

إخوة الإسلام:

قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: 119]. ونقول مستعينين بالله ﷻ إذا كان الفرح حالة تعترى النفس، فإن الإنسان بطبيعته لايفرح إلا إذا كان عنده استقرار نفسى، والاستقرار النفسى يترجم أعمال الإنسان، في صدقه قولا وعملا، وفى معاملته مع الناس. ومن هنا فإن كلمة الصدق من الكلمات التي تطرق السمع، فيرتاح لها القلب، وتنشرح بها الأنفس، وتهفو إليها المشاعر؛ لأنها كلمة تدل في أصلها اللغوى على القوة والثبات. إذ إن معنى الصدق هو: مطابقة الخبر للواقع. أى ماينطق به اللسان لما هو مستكين في القلب، ولذلك يقول ربنا في كتابه:{وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ} [الأحزاب: 35]. ثناء مطلق على جنس الصادقين.

ولقد قسم الإمام القسطلانى في (إرشاد السارى) الصدق إلى ستة أقسام؛ لأنها كلمة واسعة المدلول والمعنى.

* صدق اللسان. * صدق النية.
* صدق العزم. * صدق الوفاء بالعزم.
* الصدق في الأعمال. * الصدق في المقامات.

وفى الصدق فضائل كثيرة نذكر منها:

وأن الصدق صفة من صفات الله ﷻ، وهذا يدل على سمو مكانتها، وعلو شأنها. قال تعالى:{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ الله قِيلاً} [النساء: 122] وقال:{وَمَنْ

أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا} [النساء: 87] أى أنه: لا أحد أصدق في الحديث وفى القول من الله ﷻ.

والصدق صفة من صفات رسول الله ﷺ. قال تعالى:**{وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا}** [الأحزاب: 22].

وهى كذلك [1] صفة من صفات الرسل جميعا كما قال تعالى:**{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ}** [يس: 52].

إخوة الإيمان والإسلام:

فلقد قرر كل ذى عقل سليم أن على رأس الصفات الواجبة في حق الرسل جميعا صفة الصدق. ولقد كان رسول الله ﷺ حتى قبل بعثته يلقب بالصادق الأمين. فلما بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، ازداد تمسكا بهذه الفضيلة، وشهد له أعداؤه بذلك، ويدل على ذلك أن أبا سفيان (وكان ما زال كافرا)، عندما سأله هرقل ملك الروم أسئلة معينة عن الرسول ﷺ وكان منها: بماذا يأمركم هذا النبى؟ فقال أبو سفيان: يأمرنا بعبادة الله وبالصلاة والصدق، فقال له: وهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال؟ فقال أبو سفيان: لا. فرد عليه هرقل بقوله: ما كان ليترك الكذب على الناس ويكذب على رب الناس!! يقول عبد الله بن الحمساء: بايعت رسول الله ﷺ ببيع قبل أن يبعث، فبقيت له بقية، فوعدته أن آتيه بها في مكانه! فقال: (يافتى لقد شققت علي! أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك) [2].

ويقول عبد الله بن عمر ☻ : حفظت من رسول الله ﷺ قوله:♂**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة**═ [3].

وبغض النبى الكريم في الكذب، وجعله من صفات المنافقين، فقال:♂**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، إذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان**═

(1) العقيدة والأخلاق.
(2) خلق المسلم.
(3) رواه الترمذي عن علي بن أبي طالب.

.[1]

ولقد أمرنا الله ﷻ بالصدق، ومدح الصادقين من عباده الصالحين، في قرآن يتلى إلى يوم الدين، فقال:{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا} [مريم: 41]،{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا} [مريم: 56].

عباد الله:

إن الصدق منهج تربوى إسلامى. حيث أمرت شريعة الإسلام أتباعها أن يغرسوا فضيلة الصدق في أولادهم منذ الصغر؛ لأن من شب على شيء شاب عليه، لأن من تعود الفضائل في صغره، سار عليه في كبره.

روى أبو داود في سننه عن عبد الله بن عامر ﷺ قال: دعتنى أمى يوما، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت لى: ها تعال أعطك. فقال لها النبى ﷺ: ♂**يا أم عبد الله، ما أردت أن تعطيه؟**— قالت: يا رسول الله، أردت أن أعطيه تمرا. فقال لها:♂**أما إنك لو لم تعطه لكتبت عليك كذبة**—.

وهكذا يلفت النبى ﷺ أنظار الآباء والأمهات إلى وجوب غرس فضيلة الصدق في قلوب أولادهم منذ الصغر، وأن يكونوا هم قدوة طيبة في التزام الصدق أمام أبنائهم الصغار. ويؤيد هذا أيضا ما رواه الإمام أحمد في مسنده، عن أبى هريرة ﷺ، أن النبى ﷺ قال:♂**من قال لصبى تعال، هاك. أى سأعطيك شيئا ثم لم يعطه فهى كذبة**—.

كذلك روى مسلم عن أسماء بنت يزيد ♥ أنها قالت: يا رسول الله، إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه لا أشتهيه. أيعد ذلك كذب؟ فقال:♂**إن الكذب يكتب كذبا حتى تكتب كذيبة**—.

وروى في الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ، عن النبى ﷺ أنه قال:♂**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا**—.

إخوة الإسلام:

(1) رواه البخاري ومسلم.

إن للصدق ثمرات طيبة يجتنيها الصادقون منها:

* راحة الضمير وطمأنينة النفس.

قال النبى ﷺ: **«الصدق طمأنينة»** (1).

* الفوز بمنزلة الشهداء.

قال النبى ﷺ: **«من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»** (2).

* البركة في الكسب وزيادة الخير.

قال النبى ﷺ: **«البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما»** (3).

* النجاة من المكروه.

قال النبى ﷺ: **«تحروا الصدق وإن رأيتم الهلكة فيه، فإن فيه نجاة»** (4).

وعلى هذا فإن الصدق كله منافع، وكله محامد، تجعل الإنسان في أعلى الدرجات، ويبعد عن الهبوط إلى الدركات.

ولنضرب أمثلة في الصدق، تكون نبراسا للسالكين، ونموذجا للصالحين، لننظر عاقبة الصدق وثمراته الزكية.

خطب الحجاج بن يوسف الثقفى يوما فأطال في خطبته، فقام رجل من مجلسه (أى من المسجد) وقال: الصلاة فإن الوقت لا ينتظرك، والرب لايعذرك. فأمر الحجاج بحبس هذا الرجل. فجاء قوم هذا الرجل يستأذنوا لكى يصفح عنه. فقال الحجاج: أصفح عنه بشرط. أن يقر على نفسه بالجنون. فحينما جاؤوا بهذا الرجل وقالوا له ما قال الحجاج. فقال الرجل: كيف أجحد نعمة قد أنعم الله على بها وهى (العقل)، وادعى صفة قد أزالها الله عنى وهى الجنون. فأعجب الحجاج بصدق هذا الرجل وجرأته

(1) سنن الترمذي
(2) رواه مسلم من حديث سهل بن حنيف.
(3) في الصحيحين من حديث حكيم بن حزام.
(4) رواه ابن أبي الدنيا.

في الحق، وصفح عنه.

وروى أن الإمام البخارى حينما كان طالب علم، ذهب لرجل يأخذ عنه حديثا من أحاديث النبى ﷺ فحينما سأل البخارى عن هذا الرجل، قالوا له: أنه في مكان كذا وكذا. فذهب البخارى إليه، فوجده في مكان فسيح، ولكنه حينما وصل إليه، وجد أن ناقة الرجل قد ضلت منه، وتركته وأخذت تجرى، وأصبحت بعيدة عنه. فما كان من هذا الرجل إلا أن أخذ طرف ثوبه، وأخذ يخيل على الناقة أن معه طعاما لها (وهو لم يكن معه حينئذ)، ولما خيل إلى الناقة بذلك جاءت الناقة واقتربت منه، فأمسك بلجامها، والإمام البخارى ينظر إلى هذا الموقف من بعيد. فَهَمَّ البخارى حينئذ بالانصراف، فقال له صاحب الناقة: ألم تأت من أجل شيء؟ قال: نعم، جئت لآخذ منك حديثا عن رسول الله ﷺ. فقال الرجل: ولم هممت بالانصراف؟. فقال له البخارى؟ هل كان معك طعام حينما خيلت للناقة؟ فقال له الرجل: لا، ولكنى فعلت ذلك من أجل أن أمسك بلجامها، وهاهى بين يدى. فقال له البخارى: طالما أنك كذبت على الناقة فمن السهل ألا تكون صادقا مع الله، وتكذب على رسول الله ﷺ وتركه البخارى ومشى. ومن هذا الموقف يظهر حرص الإمام البخارى على تحرى الصدق في كل حديث يأخذه. بل وورد أن البخارى (رحمه الله) كان يتوضأ ويصلى ركعتين قبل أن يكتب أى حديث.

وهكذا يتضح لكل إنسان فضيلة الصدق وأثره في حياة الفرد والمجتمع.

نسأل الله أن يجعلنا من الصادقين، وأن يجمعنا مع النبيين والصديقين. اللهم آمين.

* * *

آداب الاستئذان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، ونشهد أن لا إله إلا الله، ونشهد أن محمدا رسول الله.. وبعد:

إخوة الإسلام:

عندما يكون أحدنا باب غرفته مفتوحا، سواء كانت إقامته في عمارة أو كوخ، ثم يدخل شخص عليه فجأة دون استئذان، فهذا موقف يدفع الشخص منا إلى الغضب والثورة.. لماذا؟ لأن هذا الدخيل دون استئذان قد انتهك حرمة البيت، ولم يرع قدسية المنزل، ولأنه أشبه باللصوص، الذين يتسللون إلى الديار في غفلة من أهلها جاعلا كل البيوت بيوته.

ولما كانت تلك الجريمة جريمة خلقية واجتماعية، فقد شدد الله عز وجل النكير على من يرتكبون هذا الفعل الخطير؛ لأنه ينافى آداب الإسلام وتعاليمه.

أخرج الفريابى وابن جرير عن عدى بن ثابت قال: جاءت امرأة من الأنصار، فقالت يا رسول الله، إنى أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد وإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحال فماذا أصنع؟ فنزل قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ والله بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [النور: 27، 28].

فقال أبو بكر: يا رسول الله، فكيف بتجار قريش الذين يختلفون بين مكة والمدينة والشام، ولهم بيوت معلومة على الطريق، فكيف يستأذنون ويسلمون وليس فيها سكان؟ فنزل قوله تعالى:{لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ والله يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ} [النور: 29].

ونتحدث - إخوة الإسلام - عن معانى تلك الآيات السابقة فنقول وبالله التوفيق: لما حذر الله تعالى من قذف المحصنات، وشدد العقاب فيه، وكان

طريق هذا الاتهام مخالطة الرجال للنساء، ودخولهم عليهن في أوقات الخلوات، أرشد تعالى إلى الآداب الشرعية في دخول البيت، فأمر بالاستئذان قبل الدخول وبالتسليم بعده. قال تعالى:{حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا} أى: لاتدخلوا بيوت الغير حتى تستأذنوا وتسلموا على أهل المنزل، ويكون هناك أنس وترحاب من أهل البيت للضيف.

وقوله تعالى:{ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}. أى ذلك الاستئذان والتسليم خير لكم من الدخول بغتة؛ لتتعظوا وتعملوا بموجب هذه الآداب الرشيدة.

ويقول الإمام القرطبى: المعنى أن الاستئذان والتسليم خير لكم من الهجوم بغير إذن، ومن الدخول على الناس، أو من تحية الجاهلية. فقد كان الرجل منهم إذا دخل بيتا غير بيته قال: حييتم صباحا أو حييتم مساء ودخل، فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد، وعن عطاء بن يسار أن رجلا قال للنبى ﷺ: أأستأذن على أمى؟ قال:♂**نعم**— قال: ليس لها خادم غيرى، أأستأذن عليها كلما دخلت؟ قال:♂**أتحب أن تراها عريانة؟**— قال: لا، قال:♂**فاستأذن عليها**—.

ومعنى قوله تعالى:{فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ} أى: فإن لم تجدوا في البيوت أحدا يأذن لكم بالدخول إليها، وهل الولد الصغير والمرأة الأرملة والبنت والمرأة التي غاب عنها زوجها، ممن يأذنون للناس من أجل دخول البيت، حتى يقع الإنسان في دائرة الحرمة والشبهة، ويكون ثالثهما الشيطان.{فَلَا تَدْخُلُوهَا} [النور: 29]، حتى يؤذن لكم من ربة البيت، أو ممن له أهلية التصرف، أو بوجود رب البيت.

وينبغى أن يستأذن ثلاث مرات، فإن أذن له وإلا انصرف.

وثبت في الصحيحين أن أبا موسى حين استأذن على عمر ثلاثا فلم يؤذن له انصرف. ثم قال عمر: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس يستأذن؟ ائذنوا له. فطلبوه فوجدوه قد ذهب. فلما جاء بعد ذلك قال: ما أرجعك؟ قال: إنى استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لى، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول:♂**إن استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فلينصرف**— فقال عمر: لتأتينى

على هذا ببينة، وإلا أوجعتك ضربا. فذهب إلى ملأ من الأنصار فذكر لهم ماقال عمر. فقالوا: لايشهد لك إلا أصغرنا. فقام معه أبو سعيد الخدرى، فأخبر عمر بذلك، فقال: ألهانى عنه الصفق بالأسواق.

وفى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال:♂**لو أن امرأ اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاه ففقأت عينه، ما كان عليك من جناح**ـــ.

وقد كان عمر بن الخطاب يستأذن على النبى ﷺ قائلا:♂**السلام على رسول الله، السلام على رسول الله، أيدخل عمر**ـــ.

أما قوله تعالى:{حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا} المعنى: وإن لم يؤذن لكم وطلب منكم الرجوع فارجعوا ولا تدخلوا. فالرجوع أطهر وأكرم لنفوسكم، وهو خير لكم من اللجاج والانتظار على الأبواب.

*** على المستأذن بعض الآداب منها:**

1- التصريح باسمه: فعن جابر بن عبد الله قال: أتيت النبى ﷺ في دين كان لى على أبى، فدفعت الباب فقال:♂**من ذا بالباب**ـــ فقلت: أنا. فقال:♂**أنا**ـــ، كأنه كرهها. وذلك لما فيها من تعظيم النفس، وعدم الدلالة على المقصود.

2- أن ينادى ثلاثا: فلا يكثر من دق الجرس، أو طرق الباب بشدة؛ لما في ذلك من أذى لأهل البيت.

3- عدم النظر من صير الباب: فيقف الإنسان على يمين الباب أو على شماله؛ لعدم النظر في قعر الباب يقول النبى ﷺ:♂**لو أن امرًأ اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاه ففقأت عينه، ما كان عليك من جناح**ـــ. ولذلك قيل: من نظر من صير الباب فقد دمر. وقوله تعالى:{والله بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}. أى: هو عالم بالخفايا والنوايا بجميع أعمالكم فيجازيكم عليها. قال القرطبى: وفيه توعد لأهل التجسس على البيوت، ثم إنه تعالى لما ذكر حكم الدور المسكونة، ذكر بعده حكم الدور غير المسكونة.

ولقد حرم الله الهجوم على البيوت: إذ تكلم عمر مع رسول الله ﷺ قائلا: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين

بالحجاب فنزل قوله تعالى صيانة لهن من التهجم دون استئذان:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ} [الأحزاب: 53].

وذات مرة كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ يتفقد أحوال المسلمين في ليلة من الليالى، فسمع من داخل أحد المنازل صوت سكير يعقر الخمر، فتسور الجدار ودخل على من في الدار، وواجهه بجريمته، وضبطه والكأس بيده، وأراد عمر أن يقيم عليه الحد، فإذا به سكير خطير. أراد عمر أن يحاكمه على خطأ واحد، فحاكمه هذا السكير على ثلاثة أخطاء. قال السكير: إن الله تعالى يقول:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا}، وأنت لم تستأذن ولم تسلم. ويقول تعالى:{وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا}، وأنت لم تأت البيت من بابه، ولكنك تسورت الجدار. ويقول تعالى:{وَلَا تَجَسَّسُوا} وأنت تجسست على. فأنا أناشدك العفو يا أمير المؤمنين. فعفا عنه عمر؛ مراعاة لمبدأ قانونى معروف وهو أن القاضى لا يحكم بعمله، بل لابد من شهادة الشهود.

وقوله تعالى:{لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ والله يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ} أى: ليس عليكم ذنب إذا دخلتم بيوتا بغير استئذان. لاتختص بسكنى أحد كالفنادق والحدائق والأماكن العامة وغيرها.{فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ} أى: فيها منفعة لكم، أو حاجة من الحاجات كالاستظلال من الحر وإيواء الأمتعة والرحال.

وقوله تعالى:{والله يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ} أى: يعلم ماتظهرون وماتسرون في نفوسكم، فيجازيكم عليه. وهذا وعيد لمن يدخل مدخلا لفساد أو للاطلاع على العورات.

ثانيا: الاستئذان الداخلى وآدابه

إخوة الإيمان والإسلام:

يقول المولى ﷻ:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ

طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمُ الْآيَاتِ والله عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [النور: 58].

إن ما سبق بيانه - إخوة الإسلام - هو الاستئذان الخارجى أو استئذان الأجانب. أما في هذه الآية فهو الاستئذان الداخلى، أى استئذان الأقارب بعضهم على بعض.

وقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ} أى: ليستأذنكم في الدخول عليكم العبيد والإماء الذين تملكوهم ملك اليمين.

{وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ} أى: الأطفال الذين الذين لم يبلغوا مبلغ الرجال الأحرار ليستأذنوا أيضا (ثلاث مرات) أى في ثلاثة أوقات:

أولا:{قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ} أى: في الليل وقت نومكم وخلودكم إلى الراحة.

ثانيا:{وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ} أى: وقت الظهر حين تخلعون ثيابكم للقيلولة.

ثالثا:{وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ}. أى: ووقت إرادتكم النوم واستعدادكم له فهذه ثلاثة أوقات يقل فيها تستركم، العورات فيها بادية والتكشف فيها غالب. فعلموا عبيدكم وخدمكم وصبيانكم ألا يدخلوا عليكم في هذه الأوقات إلا بعد الاستئذان.

وقوله تعالى:{لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ} أى: ليس عليكم ولاعلى المماليك والصبيان حرج في الدخول عليكم بغير استئذان بعد هذه الأوقات الثلاثة.

وقوله{طَوَّافُونَ عَلَيْكُم} أى: لأنهم خدمكم يطوفون عليكم للخدمة وغير ذلك. قال أبو حيان: أى يمضون ويجيئون ويدخلون عليكم في المنازل غدوة وعشية بغير إذن إلا في تلك الأوقات.

وقوله تعالى:{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمُ الْآيَاتِ} أى: مثل ذلك التوضيح والبيان يبين الله لكم الأحكام الشرعية والدين.

ويقول المولى ﷻ:{وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاتِهِ والله عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

قوله تعالى:{وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ} أى: إذا بلغوا مبلغ الرجال، وأصبحوا في سن التكليف، فعلموهم الأدب السامى أن يستأذنوا في كل الأوقات؛ لأن العين تتطلع إلى كل ماهو جديد أمامها، كما يستأذن الرجال البالغون. وهذا تفصيل لكم في أمور الشريعة والدين

إخوة الإسلام

ونختم حديثنا في هذا الموضوع المهم الخطير، الذي يبين آداب الإسلام الرفيعة، وأخلاقه العظيمة، يقول الله ﷻ:{وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ والله سَمِيعٌ عَلِيمٌ}

القواعد من النساء هن النساء العجائز اللواتى قعدن عن طلب الزواج، لاحرج عليهن في أن تضعن ثيابهن كالرداء والجلباب، ويظهرن بملابس معتادة لاتلفت الانتباه؛ لأنه ربما هناك عجوز شمطاء يبدو بها الحرص على أن يظهر بها جمال.

وقوله:{وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ} أى: يستترن بارتداء الجلباب.

وقوله تعالى:{والله سَمِيعٌ عَلِيمٌ} أى: يسمع ويعلم كل شيء.

فهو مطلع على كل كبيرة وصغيرة ومطلع على ما تخفيه النفس حيث إنه يعلم السر وأخفى، فهذه هى آداب الإسلام ينبغى علينا أن نتعلمها ونتحلى بها كى نحقق السعادة في الدنيا والفوز في الآخرة.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا.

اللهم آمين.

* * *

نحن... والإسلام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. وأشهد ألا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.. وبعد:

إخوة الإسلام:

إن المعاناة في أمور الحياة كثيرة، تتمثل في كل إنسان يؤدى عمله لله ويخلص فيه بجد وإتقان. كذلك تعانى أمة الإسلام من أمم الكفر ماتعانى. ولو علم أعداء الدين أن نجاحهم وفلاحهم في ديننا وعزتهم في اتباعنا؛ لانقلب حال البشر اليوم إلى إصلاح وإعمار بدلاً من فساد ودمار. وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى:{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بالله وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ} [المائدة: 59].

تلك هى جريمة المؤمنين في نظر هؤلاء الكفار الجاحدين. وصدق الله العظيم إذ يقول:{وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} [البقرة: 109].

ولنقف - إخوة الإسلام - وقفة متأنية مع قوله تعالى{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران: 110].

عباد الله:

إن الله ﷻ قد حدد لهذه الأمة مهمتها التي لها خلقت، ورسالتها التي من أجلها وجدت، وذلك في قوله:{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: 104].

فهل وعت الأمة تلك الرسالة، وأدت تلك الأمانة على الوجه الذي يريده ربنا ويرضاه؟

يقول الشيخ محمد الغزالى في كتابه (الطريق من هنا): (إن الوظيفة الأولى لدولة الإسلام أن ترى الأمم الأخرى آفاق الخير الذي تدعو إليه... مشرقة في حياتها، في أخلاقها وتقاليدها وعبارتها وتعاملاتها وآدابها وفنونها وملاهيها وأسواقها وقراها ومدنها... أى في جميع أنشطتها التي تكشف عن أعمالها

وآمالها).

وما أشبه الليلة بالبارحة، ومـاأدق الشبه بين حال أمم الأرض في جاهليتها الأولى وحال أمم الأرض اليوم، التي ماتزال يحاوطها الإسلام من كل جانب، الأمة الوسط التي تحدث عنها ربنا بقوله:

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة: 143] ومايزال القرآن الكريم يناديها لتخرج من جديد على الناس. آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر. مؤمنة بالله [1].

وإذا ظل المسلمون على حالهم تلك، مصرين على النظر إلى المدنية الغربية على أنها القوة الوحيدة لإحياء الحضارة الإسلامية الراكدة، فإنهم يدخلون الضعف على ثقتهم بأنفسهم ويدعمون بطريقة غير مباشرة ذلك الزعم الغربى القائل بأن الإسلام جهد ضائع.

أما آن لشخصيتنا المؤمنة وذاتيتنا المتحررة أن نطعم من مائدتنا الكبرى التي هيأها لنا ربنا ورسولنا وقرآننا وإسلامنا، ولم يعد هناك أى مجال أبدا لنبقى عالة على وارد غيرنا من الشعوب والأمم، حتى نستشهد بأقوالهم ونظن أنهم سبقونا إلى مبادئ الحق والخير والقوة.

وصدق الله حيث قال:{وَقُل لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ * ولله غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [هود: 123].

إخوة الإسلام:

نظرة على أرض الواقع حيث نرى في زماننا الذي نعيشه ونحياه، تسعى دول لا تملك حضارة ولا تراثا - ليقنعوا العالم زورا وبهتانا أنهم أبناء حضارة - وأهل ثقافة - بينما الأمر كذلك إذ تنسلخ أمتنا في منأى ومعزل وتخبط أشبه بالمجنون الذي فقد رشده وضل سعيه وضل ضلالا بعيدا. إن حالنا اليوم أشبه بمن أصيب بشلل معنوى في جميع أجهزته ومواهبه وملكاته مما يجعلنا في حالة عجز عن الحركة الصحيحة.

(1) الطريق من هنا.

ثم يقول الشيخ محمد الغزالى في كتابه (الطريق من هنا): مشخصا أدواء هذه الأمة بأنها " تشبه أحياء انقطع عنها التيار الكهربائى. فغرقت في الظلام ولابد من إصلاح الخلل، وعلاج الأعطال الشديدة أو الخفيفة بالكلام البليغ أو النصح المخلص.. لايكفى! بل لابد من إزالة أسباب الخلل، ومن إعادة الأوضاع إلى أسسها السليمة... إلى فطرتها الأولى{فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ} [الروم: 30].

ويقول الدكتور/ حمدى فتوح والى في مقالة له بعنوان (أين نحن من الإسلام) لقد ظن الكثير أنه مسلم بمجرد الصلاة والصوم والدعاء، ولكن الأمر ليس كذلك ولو كان مجرد الدعاء يكفى عن الجهاد وصيانة العرض، لاستغنى به النبى ﷺ وصحابته. ولكن الله أخبر{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت: 69].

إخوة الإسلام:

إن من أعجب العجب أن يدرك أعداؤنا سر قوتنا وتميز شريعتنا، وإذا بنا نتخلى عنها ونعرض عنها. كيف ذلك؟ والقرآن حثنا على الاعتصام والوحدة فقال{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 92] وقال تعالى{وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا} [آل عمران: 103].

فهذا هو أقوى عامل على تقدم الأمة ونهضتها، وخير سبيل لعلو شأنها. وقد قال النبى ﷺ فيما رواه مسلم:♂**المؤمنون كرجل واحد، إذا اشتكى عينه اشتكى كله، وإذا اشتكى رأسه اشتكى كله**═.

إن شعار الأمة المؤمنة هو صدق الاعتقاد، ودوام الاتحاد، واتصال الجهاد، حتى النصر والاستشهاد.

وإذا كان النبى ﷺ قد قال في حديثه الشريف الذي رواه أبو داود: ♂**يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها**═ قالوا: أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال:♂**لا بل كثير ولكن غثاء كغثاء السيل**═.

إخوة الإسلام:

علينا أن نتأسى بسلفنا الصالح الذين اعتصموا بحبل الله، ولم يتفرقوا فنصرهم الله على أعدائهم، وكانت لهم السيادة والريادة. فسادوا وقادوا وحكموا هذا العالم كله.

فإن الله تبارك وتعالى قد علم عباده أن طريق الخير والفوز هو طريق الإجتماع والاتحاد فحثهم على الوحدة والاعتصام، وحذرهم من الفرقة والشتات، فقال لهم:{وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: 46] وهذا الناصر صلاح الدين الأيوبى حينما قيضه الله لتحرير القدس استعان بالله، ثم وضع خطة محكمة، استمر أعدادها عشرين سنة، كان من عناصرها:

- ❖ توحيد الأمة الإسلامية بكل طوائفها وأجناسها وبيئاتها وثقافتها.
- ❖ إعداد جيل على أساس العقيدة الإسلامية وأخلاقها وقيمها السامية.
- ❖ الروح الإسلامية والصلة الوثيقة بكتاب الله وسنة رسول الله.
- ❖ التدريب المستمر على فنون القتال، انطلاقا من قوله تعالى:{وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال: 60].

❖ بعد هذا كله قرر أن يخوض المعركة متوكلا على الله{وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ الله الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [آل عمران: 126].

إن أعداء الإسلام قد اتخذوا الإسلام هدفا أمامهم؛ من أجل هدمه في قلوب المسلمين. فهل نحن نملك القدرة النفسية والطاقة الإيمانية التي تجعلنا نصرخ في أهل الأرض جميعا، نلفتهم إلى قارورة الدواء التي في أيدينا ونرشدهم إلى طوق النجاة الذي ألقيناه إليهم ليعتصموا به قبل فوات الأوان.

وعزاؤنا أن الله ﷻ جعل الأيام دولا بين الناس، وأن الإسلام يسمو فوق كل الشدائد، وأن هذه الأمة كتبت لها شهادة ميلاد ولن تكتب لها شهادة وفاة، فهى باقية إلى يوم الدين.

نسأل الله جلا وعلا أن يرد المسلمين إلى الإسلام ردا جميلا وأن ينصر الإسلام والمسلمين.

اللهم آمين.

* * *